

موضوع الكتابة في أدب الأطفال

لاشك أن الأعمال العلمية الجادة، تحتاج إلى دقة في القراءة، ووعي في الفهم والاستنتاج، وخبرة تمكن صاحبها من الإفادة والاستفادة، أما القراءة غير الدقيقة، التي لا تدعمها خبرة وممارسة وتريث، فهي خطر على القارئ والمقروء، وناهيك بتعميم الأحكام، والاستنتاجات الخاطئة المتسعة، والاختلاف حول ما نقرأ أمر وارد، فالكمال لله وحده، لكن المهم أن يستشعر القارئ الواعي تقوى الله، حتى لا يتصور أنه الأعم والأوحد، نعوذ بالله أن يكون بيننا مثل هذا النموذج، فمجالات العلم والمعرفة، والحمد لله، عامرة بالنماذج الطيبة.

للأطفال، والثانية تحت عنوان: النماذج التطبيقية للقصص والمنظومات، وقد شغل هذا التحليل من ص ١٠٠ - ١٤٥، ومن ص ١٢٧ - ١٧٩ أي ما يقرب من مائة صفحة أي أكثر من نصف الكتاب تقريباً، وذلك قلما يوجد في كتاب نقدي، ليس هذا فحسب، ولكن التحليل اللغوي الفني الذي التزمته من أصعب وأشق ضروب التحليل وأجداها نفعا. وما يتصوره إسهاباً ليس في منطق البحث العلمي ومنهجيته إلا الخلفية الفكرية للبحث، التي تمكن من أن يفرغ الباحث لمعالجة قضية النص الأدبي للأطفال التي هي جوهر الكتاب. ولأول مرة - فيما أعلم وتعلم أنت - يربط باحث بين ثقافة الطفل وأصول أدب الطفل الإسلامية والنفسية والتربوية والنماذج التحليلية، في منظومة فكرية تتصل بأحدث أساليب البحث والدرس في هذا المجال في عالمنا العربي، خلال رؤية إسلامية صادقة، لا تبتغي إلا وجه الله، دونما رياء أو ادعاء، وليس هذا من قبيل تزكية النفس، وإنما لمواجهة عدم اعتراف الآخر بالحق والعدل، وهذا يختلف عن كتابة المقالات التي لا تكلف النفس هذا الربط والتدليل والتوثيق والتحليل والاستنتاج خلال بحث في هذا المجال البكر.

أما عن الحديث عن الجوانب التاريخية في مجال تأليف الكتب، فقد اقتضاه أن من أهداف الكتاب التأصيل لأدب الأطفال في أدبنا العربي وثقافتنا العربية، والحديث عن

التي على أساسها نحدد العمل الأدبي الملائم لعمر الطفل.

ثم إن الحديث عن المسرح والقصّة والمنظومة وأصولها هي جوانب إجرائية من صميم التطبيق، خاصة وقد ارتبطت بالإشارة إلى نصوص كثيرة، كما اقترنت بالتحليل لبعضها. والتطبيق يتضمن الجانبين معاً الإجرائي والتحليلي، وهذا معروف عند من يهتمون بالنقد الأدبي، ويتخصصون فيه. والكتاب أساساً يبتغي النص الأدبي للأطفال أهدافه ومصادره وسماته.

أما أن كلمة تطبيق لم تذكر في الفهرست، فعينك لم تقع عليها نتيجة للقراءة العجلى، مع أنها قد وردت في الفهرس في ص ١٨٨، ص ١٨٩ تحت عنوان: نموذجان تحليليان من المسرحيات الإسلامية



بقلم: د. سعد أبو الرضا

وصاحب هذا المقال السابق «الكتابة في أدب الأطفال» قد اتهم رابطة الأدب الإسلامي في نهاية مقاله بعدم التزامها بنظام دقيق للفحص فيما تنشره، وطبعاً هذا من الرجم بالغيب، والإساءة في التقدير والاستنتاج وعدم الدقة في الحكم، لأن الرابطة لديها نظام محكم في هذا المجال حيث تعرض منشوراتها للمراجعة، والفحص والتحكيم من قبل علماء متخصصين، يملكون الرؤية الواضحة، والقراءة الواعية، والخبرات التي تسمح لهم بإجازة ما يستحق الإجازة، دون هوى أو تعصب أو عنصرية، وفي إطار المنهج الإسلامي القويم الذي هو سبيل الرابطة فيما تقدمه للقراء من أدب إسلامي. أما ما أبداه من ملاحظات على كتاب «النص الأدبي للأطفال، رؤية إسلامية» وما أكثرها فسأعرض لها بالمناقشة ليستنتج القارئ الواعي ما يراه وفقاً للمنهج العلمي في البحث والدرس فيقبله، وما هو غير ذلك فيرفضه.

١ - أما بالنسبة للملاحظة الأولى وهي الإسهاب في القسم التنظيري، فإن الكتاب جاء في ١٩٠ صفحة، شغل الجانب التنظيري منها الـ ٦٩ صفحة الأولى، فهل هذا إسهاب كما يزعم؟ مع أن هذا الجزء التنظيري يؤسس عقدياً ونفسياً وفنياً وتربوياً لأول مرة للعلاقة بين الطفل ومستوى ما يقدم له من قصص وكتب، ويحدد الخواص النوعية

ردود ومناقشات

هذا الجانب التاريخي، مما يوضح الرؤية أمام من يريد أن يكتب في هذا المجال، خاصة وقد أبت عن مراحل التطور فيه.

٢ - والأمر الثاني فيما كتبه بمسائله السبع وما في بعضها من تطرف، فقد كشف لي أن الأخ محمد بسام ملص قد اتصل ببعض كتب الأطفال التي استشهدت بها دون أن يشير إلى أصحابها، واتصاله بها كي يبحث في سلبياتها، دون أن يذكر لها أي إيجابيات، وهذه رؤية أحادية قاصرة، واضح أن الهدف منها البحث عن أوجه التقصير فقط، وهذا اتجاه غير علمي في الكتابة والبحث، علماً بأن كثيراً من كتب الأطفال التي استشهدت بها تمثل ريادة في هذا الاتجاه، وقت أن لم يكن سواها، فبعضها كان في طبعته الخامسة عشرة، وبدل أن يعترف لأصحابها بفضل الريادة يحاول الانتقاص منها، وأنا ما استشهدت بها إلا لأنها تمثل الظاهرة على نحو ما، ولم يكن من أهدافي في هذا القسم التنظيري نقد مثل هذه الكتب مما يريده كاتب هذا المقال، لاسيما وهي قد وردت في الجانب التنظيري الذي يأخذ على الكتاب الإسهاب فيه، وإنما هو تمثيل لبدائيات الظاهرة، بدليل أنني عند التطبيق والنقد - بمعنى التحليل والتفسير وليس التقاط العيوب - اخترت من أحدث النماذج وقمت بتحليلها، وكشفت بموضوعية وعلمية عن إيجابياتها وسلبياتها، والنقد هنا بمعنى التفسير والشرح وإبراز جوانب النضج والسلبيات.

هذا وقد أكدت خلال الكتاب كله من بدايته حتى نهايته الحرص على أن أقدم لأطفالنا ما يثبت عقائدهم، ومالا يخالف شرعاً أو مبدأً إسلامياً، كما كانت الرؤية الإسلامية هي الميزان لكل ما كتبه، وزيادة في الحرص جعلت مهمة اختيار الكتب لأطفالنا موكولة للكبار وتوجيهاتهم، كي يختاروا لهم ما يناسب أعمارهم، في ضوء ما اشترطته من شروط مثل القيمة العقيدة الصحيحة، وعدم

مخالفة الشرع وسلامة الفكر ورقي المستوى الفني وملاءمة المستوى النفسي [انظر على سبيل المثال لا الحصر الصفحات: ٥، ٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٣، ٣٨، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥١... وهكذا في كل الصفحات تقريباً]. وحقيقة هناك بعض التجاوزات في بعض القصص، لكنها مما يمكن رد بعضها للمسلك القصصي، ووعي الآباء والأمهات كاف لكشفها وبيانها.

بل حرصت في المصادر على أن أقدم للأطفال الكتب الأدبية التي تجلي العبادات الإسلامية، وأركان الإسلام، وتثبيت الأخلاق الإسلامية بصفة عامة، وكل ما يشكل الوازع الديني القوي، كما ينهض بينائهم فكرياً ونفسياً.

ومن التناقض الواضح في رأي صاحب المقال أنه يأخذ على الكتاب الإسهاب في الجزء التنظيري، وفي الوقت نفسه يطالب بنقد الكتب المستشهد بها فيه، ولو تم ذلك لتضاعف حجم هذا القسم المستشهد بها فيه عدة مرات، وتجاوز أهدافه التي أشرت إليها سابقاً، فكيف يتفق الرأيان، ومع ذلك فقد كنت في بعض الأحيان أشير بعض الإشارات، اعتماداً على ما سوف يأتي في الباب الثاني التطبيقي من تحليلات.

٣ - أما الأمر الثالث، وهو في غاية العجب والغرابة، إذ يأخذ على الكتاب - وذلك في الجزء التنظيري أيضاً - أنه وردت إشارات عابرة إلى كتب السير في التاريخ الإسلامي، دون تخصيص مبحث منها برغم أهمية ذلك، ويحيلنا إلى ص ٢٨، ٤٦ - ٥٠ من كتاب النص الأدبي للأطفال، أما ص ٣٨ فقد كان الحديث فيها عن الخصائص النفسية لمرحلة الطفولة المتأخرة وما يناسبها من كتب أدبية، ومن بينها قصص أبطال المسلمين، فليس المجال هنا مجال تفصيل حديث عن السير.

وفي ص ٤٦ - ٥٠ كان الحديث عن أهم مصادر أدب الأطفال القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية الكريمة، وأبنت أن تناول القرآن الكريم للشخصيات خاصة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، يجب أن نفتدي به في كتابتنا للأطفال، فهل كان يود الأخ القارئ أن أترك الحديث عن القرآن الكريم، وأتناول كتب السير في التاريخ الإسلامي، ثم من قال إن كتب السير تقدم للأطفال؟ إنما الذي يقدم للأطفال هو قصص تحكي حياة هؤلاء الشخصيات، وفرق بين السيرة التي تناسب الكبار، والقصص التي تناسب الأطفال، أما السير فهي تجمع بين الجانب الروائي والجانب التاريخي، ومستواهما في السير لا يناسب الأطفال، إلا إذا صيغت من أجلهم.

وأظن إذا كان القارئ نزيهاً في حكمه ولايزكي نفسه، واسعاً في اطلاعه، فلا يستشهد بأعماله هو، وإنما يستشهد بأعمال غيره، ممن يمثلون ريادة في هذا الاتجاه، مثل الشيخ أبي الحسن الندوي، وكامل الكيلاني، وعبدالقواب يوسف، وغيرهم، وإلا فهذا تظاهر لا يليق بإنسان يقدر نفسه ويعرف أمانة الكلمة، وسوف أشير في نهاية ملاحظاتي إلى قيمة بعض ما استشهد به كاتب المقال من أعماله.

بل الأشد غرابة أنك تحيل على دراسة لك وهي قيد الطبع كما ذكرت في ص ١٠، أليس ذلك دليلاً على عدم الجدية، وعدم معرفة أصول الكتابة وتوثيقها، وكان باستطاعتي أن أحيل على عمل لي قيد الطبع أيضاً هو «السيرة النبوية الشريفة للأطفال» التي تضم عديداً من الشخصيات الإسلامية ولكن بصورة قصصية، سوف تغطي إن شاء الله جانباً طيباً من السير في التاريخ الإسلامي، وهكذا تتكامل أعمالي في هذا الاتجاه، والله

الموفق، ودون ادعاء أو تجاوز في حق غيري، ولا أزعج أنا، ولا يستطيع من يعرف قدر نفسه أن يزعم أن عملاً من أعماله يمكن أن يغطي كل ما يجب نحو الاهتمام بأدب الأطفال، وإنما تتكامل الأعمال على المستوى الفردي والجماعي والجنس الأدبي كله في هذا المجال.

٤ - والأمر الرابع أشد غرابة وخطأ، نتيجة لِي أعناق النصوص، إذ يرى أن هناك إسهاباً في الحديث عن نواذر جحا وكنيلة ودمنة وألف ليلة وليلة من الناحية التاريخية والتأليفية، وأن الكتاب لم يبين قيمة هذه المصادر ومدى ملاءمتها للنشء بصورة جلية.. وهذا فضلاً عن أنه حكم عام تأثري غير موضوعي لا يعتد به، فقد نسي صاحبه أنني أتحدث عن مصادر لأدب الأطفال، وليس عن كتب أدب الأطفال نفسها التي يأتي الحديث عنها تالياً لذلك في هذا القسم نفسه، وهذا يعني أن الكبار هم الذين يتعاملون مع هذه المصادر؛ حتى يطوعوها شكلاً ومضموناً لأهداف أدب الطفل خلال أعمالهم الأدبية، فمقدرة كاتب أدب الطفل ووعيه هما الفاصل والمحك، لأن أحداً في الدنيا كلها لم يقل إن هذه المصادر تقدم مباشرة للأطفال.

ثم إن الاستعانة بهذه المصادر أمر عالمي في كل آداب العالم، منذ أن التفت «لافونتين» الفرنسي إلى كنيلة ودمنة واستمد منها كثيراً من قصصه في الجزء الثاني من كتابه للأطفال، فيما سمي بجنس القصص على السنة الحيوان، لكن صاحب المقال يريد أن يحرم أطفالنا من هذا المصدر الذي أصبح عالمياً، بعد أن قدمه العرب المسلمون للعالم كله منذ القرون الوسطى.

والعجيب أنه يستشهد بنص لشيوخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «أن الإيمان على أخذ الحكمة والآداب من كلام فارس والروم لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في القلب ذاك الموضع» (ص ٤)، ونسي صاحب المقال أنني جعلت القرآن الكريم

والحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية الكريمة أول وأهم المصادر لأدب الطفل، واستغرق حديثي عنها ثلاث عشرة صفحة، بينما حديثي عن نواذر جحا وكنيلة ودمنة وألف ليلة وليلة كمصادر لم يتجاوز ست صفحات، وكان تركيزي على المصدر نفسه ثم الإشارة إلى الأعمال التي قدمت للأطفال اعتماداً على هذه المصادر، فهل في ذلك إدمان على أخذ الحكمة عن الفرس أو الروم؟ علماً بأننا لا نأخذ الحكمة والآداب - وهي بمعنى طرائق السلوك - وإنما نأخذ الحكايات والقصص ونُنقِئها مما يشوبها ونطوعها لخدمة قضايانا وأهدافنا وتنمية أطفالنا، ورعاية فكرهم وأدبهم كما نأخذ السيارة والطائرة والقطار والكتاب، وقد نهت إلى جوانب السلب، وما يمكن أن يحذره الكتاب حتى يكون التوظيف محكوماً بمبادئ الإسلام وقيمه، والمستويات النفسية والتربوية لأطفالنا، وقد كرر كاتب المقال هذا الزعم مرة أخرى في «سابعا» من ملاحظاته، مما يشي باضطراب الرؤية.

وتجلى شدة لِي أعناق النصوص عندما ينتقد نصاً من النصوص التي تقوم بنشرها «مؤسسة الخليج العربي» ضمن المسرح الشعري للأطفال، وهي من أشد المؤسسات الخليجية تحريماً للالتزام بكل ما هو إسلامي وعربي، وإذا كان اختلاف المتلقين وارداً بالنسبة للنصوص التي يقرؤونها، فما أظن درجة التلقي تختلف إلى هذا الحد الذي وصل إليه صاحب هذا المقال، إذ كيف يستنتج أن جحا يزكي نفسه في هذه المسرحية التي تبغى إبراز الخلق السوي الإسلامي للجار الذي قال ﷺ في وجوب حسن معاملته «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه».

ويعيب على جحا حَمْدَ الله سبحانه وتعالى على فقره، ومن البهيميات عند المسلمين أن الله سبحانه وتعالى يُحْمَدُ على كل شيء، بل والأدهى من ذلك أن يستنتج

من النص ربط جحا بين الغنى والشر، وهذا مالم يحدث، لأن الرؤية الكلية للنص التي افقدها صاحب المقال، تجعل جحا صاحب الخلق السوي محبوب من الناس الذين يالفونه ويفهم برغم فقره، في مقابل جاره الغني البخيل، الذي يبغضه الناس، ومن هذا التقابل الفني بالدرجة الأولى وهو في الوقت نفسه وسيلة تعبيرية في النص، يتجلى هدف إسلامي رفيع هو رعاية الجار وحسن خلقه، ودعم الكرم بين الناس والتفكير من البخل، إذن جحا لم يربط بين الشر والغنى، وإنما ربط بين الشر والبخل، وهذا مسلك تقويمي في هذا العمل، والنص مليء بالوسائل الدرامية التي تهيئ للحل المسرحي الذي تحكمه قيم الفن ووسائله، وليس هناك كذب أو تحيز أو أي خطيئة من هذه الخطايا التي ظلها الناقد، لأن هناك فارقاً أساسياً بين الخطأ في المسرحية والخطيئة، الأخيرة أخلاقية بينما الخطأ سوء ترتيب في المقدمات يؤدي إلى نتائج غير سليمة بالنسبة لبطل المسرحية، وهذا مما تعارف عليه النقاد في مجال المسرح، أما أن تلوى أعناق النصوص أو يطلق القارئ عنان فكره لاستنتاجات لا غاية لها إلا تشويه النص، فهذا لا يدل على قراءة سوية للنصوص، تحكمها أعراف الفن بعد قيم الدين الإسلامي، الذي أكدته في تعاملتي مع هذا النص وغيره، ويستطيع أي قارئ أن يعود إلى مجموعة المسرح الشعري للأطفال التي أصدرتها مؤسسة الخليج العربي للنشر، وسوف يدرك مدى التجاوز الذي وصل إليه هذا الناقد، الذي يريد أن يعمم أحكاماً بالخطيئة على نصوص فنية جيدة تتحرى قيم الإسلام ومبادئه، وخدمة الفن وتربية أطفالنا، في وقت تعوزنا فيه مثل هذه النصوص.

٥ - أما ملاحظاته في الأمر الخامس، فهي أيضاً ينقصها الدقة العلمية، ويعتريها خلط شديد، فصاحب المقال يسوي بين مسرح الأطفال والمسرح المدرسي مع أنني - وغيري

ردود ومناقشات

- قد فرّقنا بينهما، حتى أصبح هذا التفريق أمراً بديهياً، هذا برغم اشتراكهما في كثير من الأهداف وبعض الوسائل، انظر ص ٩٣، ٩٤، من كتاب «النص الأدبي للأطفال».

ولقد جاء تعليقه على تقسيمات خمسة لمسرح الأطفال والمسرح المدرسي كما يقول، وأنا ما قدمت إلا تقسيمين فقط ينصبان بالتحديد على ما يقدم في المسرح المدرسي من مسرحيات وليس (مسرح الأطفال والمسرح المدرسي) كما يزعم صاحب المقال، وهذان التقسيمان موجودان في كتابين مهمين يُعتدُّ بهما أولهما: للدكتور مصطفى بدران وهو كتابه: «الوسائل التعليمية»، والثاني للدكتور نجيب الكيلاني وهو كتابه «أدب الأطفال في ضوء الإسلام»، وقد رفضت هذين التقسيمين، واقترحت بعض الاقتراحات التي يمكن أن تحقق الفاعلية لكل منهما، ثم ختمت الاقتراحات بتصور خاص بي على أساس الموضوع، وأشرت إلى ما يمكن أن يعتريه من تداخل، لذلك وضحت بعض جوانبه دفعا لهذا التداخل، فهذان التقسيمان ليسا لي، لا كما فهم القارئ.

وذكر هذه التقسيمات مهم جداً لأنه يتعلق بالجانب الإجرائي في النصوص المسرحية، وبذلك يعين على التطبيق، كما يمكن أن يضيء الرؤية أمام بناء الكتاب للنصوص المسرحية وكيفية تقديمها للأطفال، ومن هنا يتضح أهمية ذلك واتصاله الوثيق بالجانب التطبيقي، على عكس ما تصور كاتب المقال.

ومما يتصل بسلسلة عدم الدقة العلمية في هذا المقال، أن صاحبه يعتبر طلاب المرحلة الثانوية أطفالاً، ولذلك يأخذ على الكتاب إغفاله للمسرحيات التي تقدم للمرحلة الثانوية، أفلا يعرف أن هذه المرحلة تتصل في بدايتها بمرحلة المراهقة وفي نهايتها بمرحلة الشباب، وكتاهما مرحلتان غير مرحلة الطفولة التي يهتم الكتاب بالنص الأدبي لها!!

ثم يهتم الكتاب بالخلط بين الشكل

والموضوع في إشارته إلى مسرحيات رياض الأطفال، وتأمل عدم الدقة في القراءة والفهم.

● أولاً: هذا مجرد رأي للدكتور نجيب الكيلاني كما أشرت في الهامش - وكما أشرت سابقاً - يتحدث فيه عما نهتم به من مسرحيات في مراحل رياض الأطفال، وطبيعي هنا أن تتعدد الأنواع بين الشكل والمضمون.. وليس هذا بخلط، كما زعم القارئ.

● وثانياً: قد أبدت بعض الاقتراحات على هذه الأنواع، وانتهيت منها إلى رأي بديل، وكل هذه وجهات نظر سواء لهذين الكاتبين أم لي، ولا يزعم إنسان معتدل التفكير، يبحث بتجرد أنها نهاية المطاف، أو أن رأيه هو أصوب الآراء، اللهم إلا إذا سيطرت العصبية، وعدم الموضوعية، وذلك بعيد عن العلم والمعرفة الصحيحة تماماً. والحديث عن مسرحيات المرحلة الابتدائية مأخوذ عن د. نجيب الكيلاني كما قلت، وذلك في مجال عرضي لما هو قائم فعلاً، وقد انتقدت بعض جوانبه واقترحت البديل، ثم تأمل حديث كاتب المقال عن المسرحية الترفيية:

● أولاً: سوف تجد عدم الدقة في نسبة الحديث لي، بينما الهامش واضح ص ٩٧ أنه للدكتور نجيب الكيلاني، ثم لا أنا ولا الدكتور نجيب خطر ببالنا ماخطر ببال صاحب المقال من أننا نقصد المسرحية الكوميديّة (ضمن إطار الابتذال والتهريج)، وأنا والدكتور نجيب الكيلاني مهتمان بكل ما هو إسلامي وجاد، وما أكثر مؤلفات د. نجيب الكيلاني - رحمة الله عليه - التي توضح ذلك، وما هو ذا كتابي «النص الأدبي للأطفال» تنطق كل صفحة منه بذلك، بل كتبني الأخرى برغم قلتها - دون ادعاء - لا تصدر إلا عن هذا الموقف المعتدل النابع -

والحمد لله - من قيم الإسلام ومبادئه، فكيف تأتى لصاحب المقال هذا الزعم أو هذا الفهم البعيد عن الحق..

وتأمل أيضاً زعمه هنا وأنا أقترح تقسيماً أحد عناصره المسرحية توظيف الأسطورة - وكما قلت - يحكم هذا التقسيم التصور العام الذي ينبني عليه الكتاب، وهو تقديم مالا يخالف شرعاً، ويلتزم صحة الفكر، وسلامة المعتقد، والحفاظ على قيم الدين الإسلامي ومبادئه، وبناء شخصية أطفالنا وعقولهم، ومن هنا يتم توظيف الأسطورة بعد تهذيبها وصقلها، وتجريدها مما يتعارض مع العقيدة، وإلا فلا.. وكما قلت: الكبار من الكتاب هم المقدرّون الذين يستطيعون ذلك، وقد أشرت إلى هذه القضية ص ٩٨، ٩٩ من كتاب «النص الأدبي للأطفال».

وتأمل التناقض العجيب في مسلك كاتب هذا المقال الذي يستشهد بقول ابن تيمية - رحمه الله - منذ قليل في التحذير من الإدمان على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، يقول في خامساً «كما أن الكاتب لم يرجع إلى كتاب يعد مصدراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه لكل من يكتب عن مسرح الأطفال وهو كتاب «وينفروارد» «مسرح الأطفال» تأمل.. «مصدراً مهماً لا يمكن الاستغناء عنه»، يا أخي إن المصدر المهم الذي لا يمكن الاستغناء عنه هو القرآن الكريم وحديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم من نصّبك لإصدار هذا الحكم الذي لا يصدره عالم يقدر علمه وكلمته، الساحة مليئة بالمصادر والمراجع العربية والأجنبية، المهم من يقرأ ويحسن الفهم، ويستثمر خبراته، ويحسن الاستفادة من غيره، ويكتب مستشعراً تقوى الله.

أما ما يستجد في مجالات المعرفة عموماً وأدب الأطفال خصوصاً فالكاتب لم يغلق

الباب أمام أي اتجاه جديد في هذا المجال يمكن أن يفيد الطفل، وينمي فكرياً ونفسياً وتربوياً، مادام لا يخالف عقيدة، ولا يصادم شرعاً، وقد أشرت إلى ذلك في كثير من الصفحات مثل ص ٩٣، ص ٩٤ من كتاب «النص الأدبي للأطفال».

٦ - وفي سادساً: يأخذ الكاتب على الكتاب «الاهتمام بما قدم الشاعر أحمد شوقي للأطفال، حيث أخذ حيزاً أكبر مما يجب، برغم أن الديوان الذي جمع قصص شوقي ومنظوماته لم يحظ بالدراسة اللازمة للتعريف به وإضاءته، فجعله الكتاب موضع الدراسة، علماً بأن هدف الكتاب ليس تناول ديوان بصورة خاصة، وإنما الحديث عن النص الأدبي للأطفال وتحليله»

هذا في نظر صاحب المقال طبعاً، لكن أليست نماذج أحمد شوقي نصوصاً كتبها للأطفال؟ أثنان وسبعون نصاً ما بين قصة ومنظومة، أثرت في كثيرين ممن كتبوا للأطفال، وهو نفسه قد تأثر بنواحي النضج في أوروبا عندما كان هناك، ومعظم نماذجه محاولات جادة وموفقة فنياً، كما أنني قدمته بعد أن أعدت توزيعه على أسس نفسية وفقاً للمرحلة السنّية للطفل، وهو ما كان ينقص هذا الديوان، كما ينقص كثيراً مما يكتب للأطفال غفلاً دون تحديد سن معينة يلائمها النص الأدبي المطروح، وكثيرون ممن يكتبون للأطفال يجهلون أسس ذلك التحديد.

كذلك يكرر كاتب المقال ما سبق أن أشار إليه من أن الجانب التطبيقي محدود، وقد سبق أن بينت عدم صحة ذلك، فأكثر من نصف الكتاب في هذا الجانب، أما أن النماذج التحليلية الخمسة «لم تقدم نماذج عن القصة والرواية وعن أدب الخيال العلمي والترجمات على أساس الموضوعات» ص ٨، فقول يضاف إلى سلسلة عدم الدقة أيضاً، فالسرحية والقصة والمنظومة هي أهم أجناس الأدب، وأليست «الأرنب وبنت

عرس» و«في السفينة» قصة، وأليست «الثعلب والديك» قصة؟ ولكنهما قصتان شعريتان، ثم من قال ممن يكتبون للأطفال إن الرواية مناسبة لهم؟، وقد أشرت إلى ستة نماذج من قصص الخيال العلمي (ص ١٤١)، وإن لم أقم بتحليلها بطريقة تفصيلية، وليس لازماً أن يتسع التحليل لمختلف الأجناس وإنما النموذج يغني عن الحصر، أشهرها وأهمها في هذا المجال، والأعمال العلمية تتكامل كما قلت على مستوى الكاتب الواحد، وعلى مستوى الكُتّاب والجنس الأدبي، فالمدان يتسع لكل صاحب خبرة، وتجربة ومقدرة، المهم سلامة القصد، وسلامة الخبرة واستشعار تقوى الله.

٨ - ولقد كانت ملاحظته في ثامناً أيضاً كاشفة عن عدم الدقة في القراءة والفهم والتقدير، وإصدار أحكام عامة بناء على فهم خاص، تأمل قوله: «ورد النموذج التحليلي «فراش الرسول» بعد النموذج التحليلي «جحا والبخيل»، والأولى أن يرد فراش الرسول أولاً، كما أن المساواة بين سيرة الرسول ﷺ ونوادر جحا على اعتبار أنهما من التراث أمر يتطلب إعادة نظر...»

وكان الذي يقول ذلك لم يقرأ الكتاب؛ فلقد جعلت السيرة النبوية الكريمة مع حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام المصدر الثاني لأدب الأطفال بعد القرآن الكريم، ثم جعلت نوادر جحا وكنيلة ودمنة وألف ليلة وليلة من المصادر التراثية وهي المصدر الثالث، فهل في هذا الترتيب مساواة؟ بل هناك فصل تام في الكتابة والمعالجة لكل مصدر على حدة، دون أن أسوي بينهما ولم أعتبر السيرة النبوية الكريمة ضمن هذه المصادر التراثية من أجل تقدير قيمتها وحتى تتضح أهميتها، إذن من قال بهذه التسوية؟ أما في التحليل فهو مجال المعالجة الفنية، فقد أشرت إلى أن النموذج الأول كان أكثر توفيقاً في التوظيف، ولذلك قدمته، أما النموذج الثاني فلم يكن موفقاً، ولذلك جعلته

ثانياً، ليدرك القارئ الذي يكتب للأطفال وجهة النظر في كيفية التوظيف، فالعمل الجيد مقدم على غيره، وقد بينت أسباب ومسوغات الجودة، وأشرت إلى كيفية تحقيق ذلك من وجهة نظري.

لعله مما سبق يتضح التحامل وعدم الدقة، والبعد عن المنهج العلمي المنضبط في القراءة والكتابة، علماً بأن كل كاتب وهو يكتب يعتمد على فطنة المتلقي وحسن نواياه، وإلا احتاج كل كتاب إلى كتاب آخر للشرح والتفسير.

٥٥ وأخيراً..

فلتعلم أيها القارئ أن هذا الكتاب قد أشاد به كبار كتاب أدب الطفل في عالمنا العربي، ومن بينهم الأستاذ عبدالقواب يوسف، كما امتدحه كثير من الأكاديميين ذوي الخبرات العلمية في هذا المجال، وقد لا تتوافر لغيرهم، كالدكتور مصطفى حسين، والمرحوم د. أنس داود، وقبل هؤلاء اللجنة العلمية من كبار أساتذة الجامعات في مصر، وبرغم ذلك فلا أزعم الكمال له، وأتضمن أن أصدر قريباً إن شاء الله كتاباً أفضل منه، خدمة لديننا الإسلامي وأبنائه، وأسأل الله التوفيق، والقبول.

فيا أخي العزيز ما هكذا تقرأ الأعمال العلمية الجادة.

وما أردت تناول ما كتبت، لكنني الآن في حلّ من ذلك، لأنك كما أشرت سابقاً تحيل قارئ مقالك عليها، ومن بينها كُتّيب تزعم أنه في أدب الأطفال، وهو «عثمان بن عفان في أدب الأطفال» طبعة إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ولا صلة مطلقاً بين هذا الكتيب وأدب الأطفال بمفهومه الحديث اليوم للأسباب الآتية:

١ - لا يوجد جانب أدبي واحد أو نفسي قد تحدثت عنه فيه، وإنما أنت فقط تناولت ما تجاوز فيه هؤلاء الكُتّاب تاريخياً، مما لا يليق

ردود ومناقشات

بشخصية عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومكانته كصحابي جليل، وخليفة راشد، وكذلك أبو ذر رضي الله عنه، فلم تتحدث إلا في بعض جوانب التاريخ الإسلامي.

أما أدب الأطفال فهو يوظف التاريخ بطريقة فنية، بواسطة اللغة الجميلة، ورعاية المستويات العمرية والعقلية والنفسية والتربوية لتنمية الأطفال وتوجيه سلوكهم، ولذلك فلم تشر أنت فيما كتبت في هذا الكتاب إلى هذه اللغة الأدبية ومشكلاتها، أو النواحي الفنية والنفسية في أي من المراجع التي انتقدتها، وأنت بذلك تتمشى مع ما قلته في مقدمتك لهذا الكتاب من حرصك على تقديم التاريخ الإسلامي الصحيح، وإنما أنت قد كتبت في التاريخ الإسلامي، وهو جهد تشكر عليه في هذا المجال، وذلك من ص ٩ - ٣٠ حيث بينت بعض نواحي التجاوز والخطأ في تناول التاريخ الإسلامي في بعض ما كتبت هذه الكتب، أما في ص ٣١ - ٦٢ فقد قمت بتصويب هذا الخطأ معتمداً على بعض المصادر التراثية، ولذلك أقترح أن تغير عنوان كتيبك إلى: «عثمان بن عفان رضي الله عنه: في التاريخ الإسلامي للأطفال» وليس في أدب الأطفال.

٢ - كما أن المراجع الثمانية عشر التي قام عليها هذا الكتاب وهي عن عثمان بن عفان وأبي ذر الغفاري، ليست للأطفال، بل لم يزعم أصحابها أنفسهم انتسابها إلى أدب الأطفال، وإنما هي في التاريخ الإسلامي، وبعضها للكبار كـ «الفتنة الكبرى» لطفه حسين، و«عثمان بن عفان» لصديق إبراهيم عرجون، وكتب عبدالحميد جودة السحار الثلاثة في: قصص الخلفاء الراشدين، وبعضها الآخر لمرحلة ما بعد الطفولة، مثل «صور من حياة الصحابة» للدكتور عبدالرحمن رأفت الباشا، و«عثمان بن عفان» لمحمود سالم.

فمرحلة الطفولة كما حددها علماء النفس المتخصصون نهايتها العام الثاني عشر من

عمر الطفل، بعدها تبدأ فترة المراهقة، ولك أن ترجع إلى د. محمود عطا حسين عقل في كتابه «النمو الإنساني» طبعة دار الخريجي بالرياض ١٨١٧هـ - ١٩٩٦م. ص ٣٢٧، وكذلك د. حامد زهران «علم نفس النمو» نشر عالم الكتب ط ٨ سنة ١٩٨٦م ص ٢٨٩.

٣ - أما الستة الأسطر في ص ٨٩ وهي باللغة الإنجليزية وتزعم فيها أن دراستك تعد مسحاً (Surveys) لإثني عشر كتاباً للأطفال، فهذا غير صحيح كما سبق أن بينت، فهذه الكتب ليست للأطفال، كما زعمت أنها تغطي إجابات أربعة قراء صغار لثلاثة من هذه الكتيبات، فهذا أيضاً خطأ منهجي في إقامة المسح وفحص العينات، لأن أربعة قراء يقرأ كل منهم كتاباً واحداً ما عدا كتاب د. عز الدين إسماعيل، لا يشكلون مسحاً وإنما المسح يستوعب أكبر عدد ممكن ممن يمثلون الظاهرة، بل قد تكون هذه العينات مغلوطة لا تصلح مجالاً لإجراء ما حاولته، فقد كانت أعمارهم: الأول أربعة عشر عاماً، وكذلك الثاني والرابع ثلاثة عشر عاماً، والذي ينطبق عليه مفهوم الطفولة هي الثالثة فقط، أما الخامس فهو غير معروف لديك، إذا هؤلاء لا يمثلون مرحلة الطفولة.

وبالتالي فإن ما حاولته من ص ٦٣ إلى ص ٧٠ من استبانات وتحليل للنتائج لم يكن صحيحاً منهجياً. أما ما تزعم أنك قد توصلت إليه من إساءة بعض المعاصرين للتاريخ الإسلامي، فهذا شيء معروف، وكل مخلص يحاول كشفه وتصحيحه دون اللجوء إلى وسائل غير منهجية، قد تشكك القارئ فيما تزعم أنه نتائج قد توصلت إليها، وإنما الباحث الجاد حقاً يتحرى سلامة المنهج، وأشكر لك إشارتك إلى كتابي سيف الدين الكاتب «ذو النورين عثمان بن عفان رضي

الله عنه»، و«الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه»، وما أكثر النماذج الإسلامية الصحيحة خاصة كتاب الاستاذ العقاد.

٤ - وتأمل كتيبك هذا الذي بلغ التسعين صفحة، منها ٨٢ صفحة هي مالكٌ فيه؛ منها عشرون صفحة - مصادر ومراجع وكشاف أعلام، وكشاف أماكن وفهرس موضوعات.. أي ما يقرب من ربع ما كتبت، هل تعتقد أن المسألة بحاجة إلى ذلك؟

٥ - أما المراجع الأجنبية فليس منها مصدر واحد متخصص في أدب الأطفال وإنما كلها مصادر في التاريخ العربي والإسلامي.

٦ - ولقد قرأت لك أربع قصص مما تنشره إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام هي «الاكتشاف الكبير» ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، و«يوم فاضت عيناه من الدمع» ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، و«البيمارستان المنصوري صدقة جارية» ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، و«درب الخير» ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. وهي تتضمن قيماً إسلامية رفيعة، لكنها للأسف يعوزها تحديد المرحلة العمرية التي تلائمها، هل هي لمرحلة الطفولة المبكرة، أم المتوسطة، أم المتأخرة؟ حتى يسهل تقديمها للأطفال، لأن تحديد ذلك على الغلاف أمر يهم الآباء والأبناء، ويتطلب من المؤلف اتصالاً وثيقاً بالدراسات النفسية والتربوية والنقد الأدبي، ووعياً بها لا يقل عن وعيه بالتاريخ الإسلامي، وهذه ملاحظة عامة، أما الملاحظات الفنية الأخرى فلها مجال آخر ومكان آخر يتسع له.

وأستغفر الله العظيم لي ولك، ولكل المسلمين.